الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

قسم العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة

محاضرات مقدمة للسنة أولى ماستر

فلسفة عربية + فلسفة تطبيقية.

محاضرات في الفكر الجزائري

أستاذ المادة: واحك مراد

محاضرات في الفكر الجزائري:

المحاضرة الأولى:

الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي:

تمهيد:

يعتبر الشيخ العربي التبسي من أعلام الفكر الجزائري ، وهو من المنتمين إلى جمعية العلماء المسلمين دورها في الإصلاح الديني والثقافي في الجزائر ، ولد في **1891** بناحية اسطح جنوب غربي تبسه في كنف أسرة على جانب من المعرفة والثراء وبدأ المرحلة الأولى من التربية والتعليم في مسقط رأسه على يد والده وبعد وفاة والده في 1903 بدأت رحلاته العلمية

- ومن أهم الرحلات العلمية التي قام بها وأثرت في فكره:

1 - الرحلة إلى الخنقة جنوب شرق خنشلة في **1907**

2- الرحلة إلى نفطه بتونس في **1914**

3 - الرحلة إلى جامع الأزهر سنة **1921**

4- الرجوع إلى الجزائر سنة **1927** وتوفي في4 افريل **1957**.

١ مشروعه الإصلاحي:

يرى العربي التبسي أن نهوض الأمة الجزائرية لا يكون إلا من خلال العودة إلى الصفاء الأول للدين الإسلامي في نصوصه المقدسة المبينة في الكتاب والسنة على ضوء فهم الصحابة، من اجل تجاوز الأفكار والأوهام والأكاذيب الخرافات التي لحقت بالدين. ومهمة العلماء الحفاظ على أسس الدين من التحريف والتأويل الذي طال الكتاب والسنة يقول العربي التبسي" ومن الواجبات إبقاء الأسماء الشرعية على مسمياتها ومعانيها الدينية حتى ترتبط الدوال بالمدلولات والأوصاف بالموصوفات وبذلك تبقى الحقائق الدينية محفوظة والأوضاع الشرعية قائمة موجودة ...أما إذا أهمل العلماء وظيفتهم العملية التبليغية وتركوا الذب عن الدين وأهملوا باب حراسته مفتحا يلج كل معتد ويثب عليه المنتهزون فان الدين وعلومه ولغته تصبح ألعوبة بيد عبيد الشهوات ومماليك الأهواء يسيرون به أين سارت شهواتهم ويفسرونه تبعا لمنافعهم" **الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ص159.**

وإذا تم الأمر على أسس استعادة الفهم الصحيح للمفاهيم والتصورات التي يفكر بها الإنسان الجزائري ، يتم تجاوز المفاهيم التي أعاقت الجزائر والأمة الإسلامية من النهوض، ذلك أن التخلف في البلاد الإسلامية هو عرضي وليس جوهري.

فقوله أن " ترتبط الدوال بالمدلولات والأوصاف بالموصوفات" يعني انه ضد التأويل الفضفاض الذي يمارسه البعض على بعض المفاهيم، فيصبح كل من هب ودب، يؤول ويفسر على هواه ومن منطلق مصلحته ومنفعته، لهذا يحرص العربي التبسي على المرجعية العربية والإسلامية في فهم المصطلحات. يتعلق الأمر بتثبيت المرجعية الإيمانية السنية كمعيار في صحة القول والبرهان.

يرد الشيخ العربي التبسي على ذلك الاتجاه الذي يرى النهضة والتقدم قائم على تقليد الغرب واستلهام مبادئه في التغيير الاجتماعي الحضاري، باعتبار أن الجزائر رقعة او منطقة تنتمي إلى العالم الغربي ، ولا تربطها صلة بالعالمين العربي والإسلامي وهو يؤكد في قوله " والأمة الجزائرية امة شرقية إسلامية تركبت أمشاجها من مبادئ الشرق والإسلام فعليها أن أرادت أن تبقى امة يتصل مستقبلها وحاضرها بماضيها أن تحافظ على مبادئ الإسلام التي هي مبادئ الحياة الصحيحة والعز الباذخ" **الأعمال الكاملة.** وهذا معناه عدم التنازل للذات لصالح الغرب، ذلك ان مقومات الذات هي من المنطق والعقل ما لا تقدر عليه هجمات الغرب ولا يعني هذا أن الشيخ يهاجم كل ما ينتمي إلى الثقافة والحضارة الغربية ، بل في الكثير من كتاباته، يدعوا إلى الأخذ ببعض المظاهر الايجابية فيه بل ويذم الممارسات التي يسلكها الإنسان الجزائري يقول" وأرجو الله أن يحبب إلى الجزائريين المسلمين مضاهاة هذه الجاليات (الأوروبية) ومشاركتها في الأعمال الإنسانية فهي جاليات جديرة بالإكبار والإعجاب لأنها تسير في حياتها على ضوء العلم و الخبرة، وتضع كل شيء موضعه وتسند كل أمر إلى أهله العارفين لإدارته ... على العكس من الخيبة التي أصابت هذه الأمة التي أضاعت نفسها يوم أوكلت أمرها إلى من لا يخاف الله ولا يرعى لأمة حرة وأعطت قيادتها إلى فئة غشاشة لا يهمها من أمر الأمة إلى بمقدار ما تستغل هي منها من المنافع المادية **" الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي.**

يظهر جليا أن العربي التبسي لا يرفض كل الحضارة الغربية بل على المسلمين أن يأخذوا بأسباب التقدم التي سار عليها الغرب فإذا أرادت الأمة الجزائرية التقدم عليها أن تأخذ بأسباب التحضر، من بينها: الجمعيات المدنية والنوادي أي كل ما يمثل جمعيات المجتمع المدني والمدارس الفكرية والثقافية يقول العربي التبسي " فإن الإسلام يرحب بكل ما كان تحت أي اسم وجد ليخدمه وأما الإسلام يتلقى بكلتا

يديه هذه المنشآت المستجدة في هذه الأيام لغرض خدمة الإنسانية وبث المعارف بين الجمهور وتبصير العامة بالمعارف التي تحتاجها في دينها وحياتها ".

وإذا كانت الجمعيات والنوادي التي تمثل المجتمع المدني قد ظهرت في أوروبا تمثل مجتمع علماني، فإنها في نظر العربي تبسي يمكن توظيفها في خدمة الإسلام والمسلمين، هذا الموقف من الشيخ يعتبر موقفا منفتحا مختلفا عن غيره من المواقف التي ترفض كل ما هو غربي ثقافة وحضارة ،يقول في عبارة أخرى معجبا بهذه الجمعيات :" وإن في بعض القوانين الفرنسية لفائدة كبيرة للأمة، تلك القوانين الإنسانية التي شرعتها الأمة الفرنسية لخدمة الإنسانية، أعني قوانين إنشاء الجمعيات الإنسانية وإحداث النوادي التي يمكن بسببها أن تتعاون في تبادل الآراء وتقارض الأفكار وتبادل المعارف في هذه النوادي."

٢ -سنن التحضر والتقدم:

يرى الشيخ العربي التبسي أن التحضر والتقدم له قوانين ثابتة، وأن الغرب قد وصل إلى ما هو علي بأخذه للسنن الكونية الإلهية الثابتة، فليس التقدم أمنية ولا مجرد أحلام بل عمل وفق السببية، نلاحظ أن الشيخ العربي التبسي ينتقد تلك النظرة الخيالية والسحرية التي زرعتها الصوفية في المجتمع الإسلامي ، ذلك لأنها ألغت السببية في عقل المسلم فانتشار الخزعبلات والخرافات والشعوذة والأباطيل التي يروجها الطرقيون محت من العقل الإسلامي التفكير ألسببي الذي هو مناط التكليف والتحضر، وبغير هذا النوع من التفكير ألسببي سيبقى العقل الإسلامي يراوح مكانه . فكثيرا ما انتشرت أخبار عن شيخ طرقي يحضر الطعام أمامه بغير عمل وسبب وكثيرا ما انتشرت أخبار أن هذا الصوفي سافر من بلد إلى بلد في لحظة، وروجت أخبار على أن هذا الشيخ قد تحصل على كنز بغير سببية هذه الأخبار التي اعتبرت ككرامات أحيت العقل الجزائري في انتظارات وهمية، يثبت العربي تبسي في قوله " ومعلوم لنا في أول ما ركز الله في عقولنا إن الله جلت قدرته ربط حلقات هذا العالم ربطا محكما وجعل لكل شيء علة تتقدمه وترتبط به ارتباطا وثيقا...وأراهم أنهم على قدر إحسانهم للتسبب وعملهم بالأسباب وبراعتهم في التذرع والتماس الذرائع المهيأة إلى مسببات يكون فوزهم بالمقاصد سواء في ذلك التسبب الديني في الشرائع أو التسبب الدنيوي في الحياة ومرافقها ".

والتحضر كما قلنا يقوم على الأسباب والمدنية المعاصرة قد أخذت مسلكا جديدا في الأخذ بها، منها: التوحد في شعارات وجمعيات وقوميات حيث انتقل فيها العقل الإنساني من النزعة الفردية المتسلطة إلى العمل الجماعي، فإذا لم تأخذ الأمة الإسلامية بهذه الأسباب ستضل مراوحة لمكانها، بل وستعدم من وجه التاريخ.

يتعلق الأمر بإعادة زرع روح العقلانية والنظام في المجتمع الجزائري يقول شيخ العربي التبسي:" أن عصرنا هذا خابت فيه الفوضى وفاز فيها النظام والنظاميون وصارت الحياة إنما تكتب للمبادئ والأعمال التي حف بها النظام ".

٣ -فصل الدين عن الدولة عند العربي التبسي:

يرى العربي التبسي أنه على الحكومة الفرنسية أن تتجه نحو فصل الدين عن الدولة، وهذه الدعوة إلى الفصل تبدوا بالنسبة إلى الكثير غريبة فكيف لمفكر سلفي أن يقول بالفصل بين الدولة والدين، في حين أنه يتصور في الوقت نفسه أن الدين يشمل جوانب الحياة كلها، القول بالفصل بين الدولة والدين مناقض للدعوة السلفية في المشرق التي ترى بوجوب إدماج الدين في الدولة، ولكن يمكن تفسيره أن دعوة علماء جمعية المسلمين إلى العلمانية خاص بالحالة الجزائرية ذلك أن السلطات الاستعمارية كانت تتدخل في تعيين أئمة المساجد والمدرسين والشيوخ بما يخدم مصلحتها، يقول " وإننا معشر المسلمين نطلب بفصل الدين عن الدولة ونطالب أن يكون هذا الفصل حقيقي مبنيا على الاعتراف للمسلمين الجزائريين بأن النظام الداخلي لإدارة شؤون الإسلام من حقهم الخاص بهم فلهم أن يضعوا أنظمتهم على الوجه الذي يلائم أو يأمر به دينهم ويسهل عليهم شؤونهم ولا حق لغيرهم في إلزامهم بنظام يضعه ويلزمهم به."

٤ -إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع: نص للشيخ العربي التبسي

"... وقد وجد فيما جد من دعائم المدنية أن كل مبدأ لا تخدمه الهيئات، ولا تستشعره الجماعات، هو مبدأ صائر إلى حيث صارت الشعوب البائدة، وأن توحيد قوى العاملين باسم واحد، ولغاية واحدة في هذه العصور من الضروريات لنجاح الأفكار، وحياة المشاريع، وأن الفرد، وعمل الفرد، وتفكير الفرد، وجهود الفرد، هذه كلها – آلت في نظر هذا العصر- كبقية من بقايا العصور الماضية التي انتقلت من وظيفة العمل بها، إلى وظيفة الاعتبار بها، وهي داخلة في أخبار الأولين، كآلتهم، وماعونهم، حيث انقطعت صلة الأمم بالاتكال على الفرد وجهوده، وحلت الجماعات محل الأفراد، وأصبح عمل الفرد في شؤون الجماعة في هذا العصر غير مرضي عنه، وبات التعاون في كل شيء رمزا عاما في العالم، وعلى قدر تشبع الأمة بعقلية التعاون في كل شيء، وبالأعمال الاجتماعية تعلو الأمة، ويمتد رواق سعادتها.

ونحن بما أننا أمة إسلامية، والإسلام دين غذائه العلم يجب علينا أن نكون أخضع الناس لما جرت به سنة الله في خلقه ولما علمناه من قدره في هذا الكون، وأن نكون أيضا من أشد الناس عملا بما فهمناه من سنن الله لأننا مع كوننا في إتباعنا سنن الله

نأتي البيوت من أبوابها، ونأخذ الشيء من جهته نكون قد خضعنا لقدر الله الذي ما خلق هذه الأسباب وسببيتها إلا لتطلب المسببات من ناحيتها، ومن طلبها من ناحيتها التي خلقها الله لتطلب منها ممتثلا، منقادا لحكمة الله، فذلك من أعظم الطاعات إذا قارنتها النيات.

المحاضرة الثانية :

فلسفة الحضارة عند مالك ابن نبي

تمهيد:

يعتبر مالك ابن نبي من المفكرين الجزائريين الذين طرحوا قضايا فكرية شغلت الفكر العربي والإسلامي، ولد في **1905** بقسنطينة وتوفي في **1973** من أهم كتبه، شروط النهضة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، وجهة العالم الإسلامي... وغيرها من الكتب، يعتبر ابن نبي كما وصفه الكثير، فيلسوف الحضارة وقد كان بمثابة ابن خلدون عصرنا هذا، والسؤال الذي يطرح كيف تصور مالك ابن نبي التاريخ العربي الإسلامي؟ فهل استعاد مالك ابن نبي أطروحات ابن خلدون؟ وكيف يتصور النهضة العربية والإسلامية انطلاقا من فلسفته في الحضارة؟

١ -دورة التاريخ عند مالك ابن نبي:

يرى مالك ابن نبي أن كل حضارة، تمر بثلاثة مراحل: الميلاد ثم الأوج ثم الأفول والزوال، فكل الحضارات في العالم، تمر على هذه المراحل الثلاث، كقانون وسنة كونية، يؤكد مالك ابن نبي أن كل حضارة تنطلق في بداياتها وفي انفجارها الأول، بتأثير عامل الروح أو بتأثير الفكرة الدينية، فالروح هي التي تهب للإنسان قوة وقدرة على الدخول في التاريخ ومغالبة مختلف الأمم، ولهذا فقد قسم مالك ابن نبي الدورة الحضارية في الحضارة الإسلامية إلى ثلاثة مراحل:

١ -المرحلة الأولى (مرحلة الروح):

وهي المرحلة التي يتجه فيها الإنسان نحو تغليب منطق الروح والقيم على جميع غرائزه وميولاته الأخرى.وكبح ميوله الحيوانية، حيث تكون القيم الأخلاقية والتضحية والإيثار هي هدف وغاية حياة هذا الإنسان، ولا يمكن أن يساوم فيها. يقول مالك ابن نبي في تأثير الإسلام على العرب وكيف حولهم من قبائل بدوية ومتوحشة إلى مصدر للحضارة "ومن

المعلوم أن جزيرة العرب مثلا، لم يكن بها قبل نزول القرآن، إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة. يذهب وقته هباء لا ينتفع به، لذلك فقد كانت العوامل: الإنسان والتراب والوقت، راكدة خامدة. وبعبارة أصح : مكدسة ، لا تؤدي دورا ما في التاريخ، حتى إذا تجلت الروح في غار حراء نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ، حيث ظلت قرون طوال تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده إلى التمدن والرقي"(كتاب شروط النهضة).

ويقصد مالك بن نبي بالروح: الفكرة الدينية أو الفضائل الخلقية أو مبادئ عليا تحرك الإنسان نحو العمل، يضحي بذاته وبمكتسباته من أجل تحقيق المثل العليا ومن خصائص مرحلة الروح:

١ -التغلب على الغرائز.
٢ -التضحية بالذات من أجل تحقيق القيم العليا.
٣ -صمت العقل وعدم النقاش والجدال حول المبادئ العليا والفضائل السامية.
٤ -الاعتقاد الجازم بيقينية وحقيقة المبادئ الكبرى التي يؤمن بها .
٥ -تفعيل جانب الإرادة والإدراك الخلقي من أجل تغيير واقعه ونشر الفضائل الأخلاقية.

تنتهي مرحلة الروح في الحضارة الإسلامية في 38هجري عندما تحولت الخلافة إلى نظام ملكي مع الأمويين.

٢ -المرحلة الثانية (مرحلة العقل):

وهي المرحلة التي تمثل الاتجاه نحو العطاء العلمي والازدهار الفكري والفلسفي والإبداع في مختلف العلوم والفلسفات والفنون والشعر، إلا أن هذه المرحلة بالنسبة إلى مالك ابن نبي، يقل فيها تأثير الجانب الروحي على توجيه سلوك الفرد والمجتمع. ولا تبقى للفكرة الدينية وللفضائل الخلقية ذلك التأثير الوهاج الذي كانت تلعبه في المرحلة الأولى، حيث اتجهت الحضارة الإسلامية في مرحلة العقل إلى الترف وفن الشعر والموسيقى الشئ الذي أدى بانفلات الغرائز شيئا فشيئا ومع ذلك يمكن اعتبار مرحلة العقل هي موازنة بين الفضائل الخلقية ومنتجات العقل والغرائز.

٣ -المرحلة الثالثة (مرحلة الغريزة):

حيث تكف الفكرة الدينية من التأثير في الناس، كما يكف العقل من الإنتاج العلمي والفكري وتتوجه الأمة إلى إشباع غرائزها ويصبح الإنسان في هذه المرحلة مجرد مجتر لما أنتجه أسلافه كما تفقد الفكرة الدينية جاذبيتها ويتعطل تفكير العقل في الابداع يقول مالك ابن نبي " تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ ". وهذا لا يعني بالنسبة إلى مالك ابن نبي أن مرحلة الغريزة، يغيب فيها الدين بالمطلق بل ما يعنيه: انه ينكمش دوره إلى مجرد إيمان فردي غير باعث على التقدم وعلى البعث الاجتماعي. يقول مالك ابن نبي في كتابه وجهة العالم الإسلامي " أما حين يصبح الإيمان إيمانا جذبيا اعني نزعة فردية فإن رسالته التاريخية تنتهي على الأرض إذ يصبح عاجزا عن دفع الحضارة وتحريكها، إنه يصبح إيمان رهبان، يقطعون صلاتهم بالحياة ويتخلون عن واجباتهم ومسؤولياتهم كأولئك الذين لجؤوا إلى صوامع المرابطون منذ عهد ابن خلدون ". وتبتدأ مرحلة الغريزة من 1406(موت ابن خلدون) إلى الآن ومن خصائص هذه المرحلة عند مالك ابن نبي :

١ -الاتجاه نحو استهلاك واجترار ما تم إنتاجه في الماضي أو ما يتم استيراده.

٢ -يفقد الدين والفكرة الدينية تأثيرها على الناس ولن يكون لها أي باعث وجداني واجتماعي يحرك الفرد والمجتمع نحو هذه الوجهة أو تلك. يقول مالك ابن نبي " لأن الروح، والروح وحده، هو الذي يتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فقد الروح سقطت الحضارة وانحطت، لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوي بتأثير جاذبية الأرض. وعندما يبلغ مجتمع ما هذه المرحلة، أي عندما تكف الرياح التي منحته الدفعة الأولى عن تحريكه، تكون نهاية (دورة) وهجرة (حضارة) إلى بقعة أخرى، تبدأ فيها دورة جديدة، طبقا لتركيب عضوي تاريخي جديد".

٣ -يتحول الدين إلى مجرد نزعات فردية صوفية أو اعتقادات سحرية تكبح العقل من إيجاد حلول للمشكلات.

٤ -لا يستطيع إنسان في المرحلة الثالثة أن يتصور أن هناك حلول لمشكل ما، ذلك لاعتقاده أن هذه المشكلات هي واقع كوني ثابت.

٥ -لا يمكن أن يكون إنسان ما بعد الموحدين(مرحلة الغريزة) صانعا للحضارة إلا إذا تم بعث الفكرة الدينية في وجدانه من جديد. يقول

مالك ابن نبي " فدورة الحضارة تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة ".

المحاضرة الثالثة:

٢ -**شروط قيام النهضة من خلال فلسفة الحضارة:**

بعدما استعرض مالك ابن نبي القوانين التي تحكم نشوء حضارة ما ومسببات سقوطها خلص إلى أن الفكرة الدينية هي التي تؤثر بشكل كبير وحاسم في نشوء أي حضارة وفي تفعيل العناصر المكونة لها: الإنسان والوقت والتراب.

صحيح أن العالم الإسلامي يملك الإنسان ويملك الوقت ويملك أيضا التراب (الأرض، المعادن، الوسائل)، ولكن هذه العناصر الثلاثة غير متفاعلة فيما بينها، فالواقع يؤكد أن هناك أعداد كبيرة من العاطلين عن العمل وجموع بشرية ليس لها ما تفعله، أما الوقت فيتم إهداره في العالم العربي في النوم وفي المقاهي وفي الهزل واللعب، أما التراب فالمنطقة العربية تزخر بخيرات كثيرة لا تستفيد منها بل يستفيد منها الغرب والسؤال الذي يطرحه ابن نبي كيف يتم تفعيل هذه العناصر الثلاثة فيما بينها حتى تصبح متفاعلة ومشكلة لحضارة؟

يجيب مالك ابن نبي عن هذا التساؤل بأن مبدأ التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة يكون من خلال: مبدأ الدين أو مبدأ الروح الذي يحول الإنسان إلى إرادة فاعلة ، تغير الأشياء من أجل تحقيق غايات سامية. ذلك أنه عندما تغيب عن المجتمع، قيم روحية كبرى وأخلاق توجيهية يفقد الإنسان بوصلته ويتيه . من هنا يمكن أن نستنتج من خلال ما سبق أن المبدأ الروحي يقوم بأدوار من أهمها:

١ -توجيه الأمة نحو مسار معين ومحدد.

٢ -توحيد الأفراد والمجموع في قيم واحدة.

٣ -يبعث في الأفراد طاقة متجددة وحيوية مندفعة نحو تحقيق الأهداف والآفاق.

يقول مالك ابن نبي " فدور الدين الاجتماعي منحصر في أنه يقوم (بتركيب) يهدف إلى تشكيل قيم، تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني، ينطبق على

مرحلة معينة لحضارة، وهذا التشكيل يجعل من (الإنسان) العضوي وحدة اجتماعية، ويجعل من (الوقت) – الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة (بساعات تمر)- وقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل، ومن (التراب)- الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط- مجالا مجهزا مكيفا تكييفا فنيا، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعا لظروف عملية الإنتاج. فالدين إذن هو (مركب) القيم الاجتماعية،وهو يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة، حالة انتشاره وحركته، عندما يعبر عن فكرة جماعية.

٣ -مالك ابن نبي وتأثره بفلسفة الحضارة عند ابن خلدون:

من المؤكد أن ابن نبي قد تأثر في فلسفته بتصور ابن خلدون لقيام الدولة وسقوطها. فما يقابل المفهوم المركزي عند مالك ابن نبي بمرحلة الروح أو الفكرة الدينية أو الفضائل الخلقية، هو مفهوم ابن خلدون للعصبية وأمامنا نص يؤكد هذا التقارب:

" وإنما قلنا إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف، وجانبهم مرهوب،والناس لهم مغلوبون.

والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به، وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتؤنس منهم المهانة والخضوع، ويبقى لهم الكثير من ذلك، بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية، فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية، وإن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ظن من وجودها فيهم.

وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفننوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء و الولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها ، فإذا جاء المطالب

لهم لم يقاوموا مدافعته، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي،ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء،حتى يتأذن الله بانقراضها، فتذهب الدولة بما حملت، فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلفها." مقدمة ابن خلدون.

المحاضرة الرابعة:

المشروع النقدي عند محمد أركون

تمهيد:

يعتبر أركون من أهم المفكرين الجزائريين الذين صنعوا الحدث الفكري في الأوساط الفلسفية العربية والإسلامية ، وقد كانت أطروحاته حول الدين والتراث والعلمانية والانسنة والحداثة تثير الكثير من النقاش والجدل ، بين معارض ومؤيد لهذه الفتوحات البحثية الجديدة. ولد أركون في 1928 بقرية ثاوريرت ميمون بني يني لولاية تيزي وزو توفي سنة **2010** ، من أهم مؤلفاته: الفكر العربي، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، العلمنة والدين، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي. فما هي المعالم الكبرى للمشروع الاركوني؟ وما هي الأصول الفكرية التي يستند عليها؟

1 – أزمة العقل الإسلامي:

يرى محمد أركون أن الفكر الإسلامي يعاني من أزمة جوهرية ، تجعله بعيد من أن يدخل في المشاركة في صناعة الحداثة المعاصرة، لا يزال هذا العقل يجتر ، المقولات والأفكار والمفاهيم التي أنتجت بالماضي، وبالتالي فهو عقل غارق في الايدولوجيا ولم يدخل بعد في مجال العلم النقدي، فلا يزال الفكر الإسلامي المعاصر يفكر من خلال اطر وفضاء القرون الوسطى، مستندا على البديهيات والمسلمات ويتصور أن هناك حقيقة مطلقة يمتلكها، على العكس من العقل الغربي الذي مارس في داخل المسيحية، وفي داخل تاريخه، عملية نقدية صارمة ، أخرجته من وثوقيته ودغمائيته.

فلا يزال العقل الإسلامي يفكر في مشكلات القرن العشرين من منظار القرون الوسطى ولا تزال تصوراته حول العالم والتاريخ والإنسان مغلفة بغلاف ديني كهنوتي، حيث أقام هذا العقل حول نفسه سياجات احتمائية ، تمنع الآخرين من

اقتحامه،يتعلق الأمر بالتفكير من خلال الايدولوجيا أي تلك النزعة التي تقدس الذات، وأيضا التفكير بواسطة امتلاك الحقيقة المطلقة.

يقول أركون" والعقلية الدغمائية ترتكز أساسا على ثنائية ضدية هي: نظام الإيمان او العقائد ونظام من اللايمان واللاعقائد بكلمة أخرى أكثر وضوحا فان العقلية الدغمائية ترتبط بشدة وبصرامة بمجموعة من المبادئ العقائدية وترفض بنفس الشدة والصرامة مجموعة أخرى وتعتبرها لاغيه ولا معنى لها" فلا يمكن للعرب والمسلمين من ان يتقدموا إلا إذا مارسوا حداثة في داخل العقل الإسلامي نفسه.

2 – نقد العقل الإسلامي:

ولكن كيف يتم تحديث العقل الإسلامي؟ يجيب أركون بتأكيده على إبراز مدى تاريخيته، أي انه نتاج ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وبالتالي يمكن تجاوزه يقول أركون" لهذا السبب تحدثت عن تاريخية العقل ، اقصد الطابع المتغير والمتحول للعقل وبالتالي الطابع المتغير للعقلانية المنتجة عن طريق العقل ، هذا في نهاية المطاف معنى نقدي للعقل الإسلامي ، فالعقل الإسلامي ليس شيئا مطلقا يقبع خارج المكان والزمان وإنما هو شئ مرتبط بحيثيات وظروف محددة تماما" ، يحاول أركون أن يقوم بنقد العقل الإسلامي كمهمة ضرورية تماثل المهمة التي قام بها فلاسفة أوروبا على تراثهم، وبذلك يمكن للمسلم أن ينظر إلى تراثه وفق نظرة نقدية علمية ونسبية ، ويتخلص من تلك النظرة التقديسية التي يسقطها على تراثه.

3- أهداف نقد العقل الإسلامي عند أركون:

١ -نزع الاسطرة (النظرة الأسطورية) من على الكثير من النصوص التراثية ككتب التفسير وكتب الفقه والنظر إليها أنها نتاج ظروف تاريخية. يمكن تجاوزها
٢ -الانفتاح على العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية واعتبارها مجرد وسائل وأدوات للفهم
٣ -فتح الباب لإبداع العقل في التأسيس لرؤى وتصورات جديدة حول الكون والحياة والإنسان والله وهو ما يسميه أركون بالحداثة الحقيقية.

٤ -الحداثة والتحديث عند محمد أركون:

يرى محمد أركون أن العالم العربي لا يعرف حداثة حقيقية، صحيح أن بعض واجهات المدن العربية قد تغيرت وأصبحت مماثلة لنظيرتها في الغرب وأمريكا واليابان وصحيح أيضا أن الإنسان المسلم قد يستخدم التقنية الحديثة مما أخترع في الغرب إلا أن العقل الإسلامي بالرغم من هذه الحداثة الظاهرة لا يزال يعيش في القرون الوسطى، في مفاهيمه وتصوراته حيث لا يزال عامل القبيلة والعشيرة والدم متغلغلا في العلاقات الاجتماعية والسياسية ولا يزال تفسيره للأشياء تفسيرا خرافيا وسحريا وما يزال قابعا تحت سلطة الفرد والمتسلط وخاضعا لسلطة القبيلة يقول أركون: "إن أول شيء ينبغي أن نقوم به هو التمييز بين الحداثة المادية والحداثة العقلية أقصد أن هناك خلط بين مصطلحي الحداثة والتحديث فلا يدلان على نفس الشيء، فالتحديث هو إدخال التقنية والمخترعات الحديثة إلى الساحة العربية الإسلامية أما الحداثة فهي موقف الروح أمام مشكلة المعرفة ، إنها موقف الروح أمام كل المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل إلى معرفة ملموسة للواقع.

يريد أركون حداثة العقل ورؤية جديدة إلى العالم، وليس مجرد نقل آلي ميكانيكي لمنتجات الحداثة الغربية، والحداثة العقلية التي يريدها أركون هي تبني العلمنة بوصفها رؤية عقلية متجددة ومنفتحة على الإنسان والآخر والدين والمعرفة، إنها موقف عقلي نسبي من الأشياء والحقائق، إلا أنها مرتبطة بنشاط العقل الإنساني المبدع لدواته باستمرار وليست رؤية جاهزة مستلهمة من الدين كما أن الحداثة الحقيقية هي التي تتقبل المنهجيات الإنسانية والاجتماعية الحديثة.

المحاضرة الخامسة:

٥ منهج أركون في قراءة التراث الإسلامي:

يحاول أركون أن ينفصل منهجيا عن القراءات التي تمت على التراث الإسلامي، فهو من جهة ينتقد القراءة الكلاسيكية الإيديولوجية للتراث الإسلامي لأنها في حد اعتقاده مجرد قراءة دفاعية وتقديسية لمنتجات الثقافة الإسلامية وليس لها موقف نقدي منها أو بعبارة أخرى القراءة التمجيدية للتراث لا تبحث عن ثغرات الثقافة الإسلامية بقدر ما تتوجه للدفاع عنها والتمجيد والتقديس والوثوقية لا تنتج حداثة ولا تقدم أما القراءة الأخرى التي ينتقدها أركون فهي القراءة الإستشراقية، هذه القراءة بالرغم من بعدها العلمي والإنتقادي إلا أنها لم تتخلص من البعد الذاتي للحضارة الغربية والمسيحية والاستعمارية، فالاستشراق جاء ليعزز تواجد الاستعمار في البلاد الإسلامية.

نجد محمد أركون يتموضع ضمن القراءتين بقراءة أخرى جديدة يسميها في الكثير من أبحاثة بالإسلاميات التطبيقية، والسؤال الذي يطرح ما مضمون هذه القراءة، لا شك أن أركون يتبنى بعض المناهج الغربية في قراءته للتراث العربي، لأنها هي السبيل في تقدمهم وحصول مرادهم في النهضة، يقول: " إذا ما قبل المسلمون المعاصرون أن ينفتحوا على هذه المنهجيات والعلوم الحديثة فإنهم سوف يستطيعون زحزحة الصخرة من مكانها وتجديد نظرتهم للظاهرة الدينية وأعتقد أن تحرير المجتمعات الإسلامية عربية كانت أم غير عربية يبدأ من هنا."، وبالتالي إن نقد العقل الإسلامي يكون من خلال تبني ما أنتجه العقل الغربي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية فهي الكفيلة بالكشف عن مواضع الأوهام والخيالات التي أحيطت بالعقل الإسلامي في إنتاجه للمعرفة وتصوراته للعالم، فمهمة هذه المنهجيات هو تحرير العقل الإسلامي من شبكة الخيالات والأوهام التي ألحقت حول هذه المعارف بإبراز بعدها التاريخي، يقول محمد أركون:" هذه العلوم لا بد من ممارستها والإحاطة بها لمن يريد الخروج بالفكر الإسلامي من التقليد والترديد للشعارات الشكلية الخاصة بالخطاب الإيديولوجي إلى الاعتماد المتحرر للعقل المبدع للأفكار المنفتحة على الاكتشافات الحديثة وكثيرا ما ألحت على ضرورة تطبيق الألسنية والتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا... إلى ميادين الثقافة الإسلامية.

٦ أهداف المنهجيات المطبقة على العقل الإسلامي:

يعتقد أركون أنه إذا أراد الإسلام أن يكون بمستوى الحداثة أن يقبل في بنيته الروح النقدية حتى تجعل منه عقيدة وتراث مرن في كل مكان وزمان فمثلما مارست المجتمعات الأوروبية نقدها على التراث ، فعلى الفكر الإسلامي أن يقوم بهذه المهمة من أجل تحريره من الدغمائية والوثوقية التي ينسجن بها، وبالتالي سيتحرر المجتمع العربي من الصراعات المذهبية والإثنية التي تظهر من حين لآخر.

هكذا يعتقد أركون أنه مثلما سارت المسيحية في تطورها التاريخي على سلسلة من المراجعات والانتقادات المستمرة قام بها فلاسفة ومتنوروا أوروبا ، على الإسلام أن يخضع لنفس السيرورة التاريخية، وبعبارة أخرى إذا كانت أوروبا قد تقدمت عندما مارست نقدا جذريا على المسيحية فكذلك المسلمون إذا أرادوا أن يتقدموا عليهم أن يمارسوا نفس النقد بنفس الدرجة والقوة الذي مورس في أوروبا على المسيحية، يقول أركون:" بسبب تطور المجتمعات الأوروبية على كافة الأصعدة وتخلف المجتمعات الإسلامية على كافة الأصعدة أيضا ،وهي التي لم

تتحرر بذلك من التفسيرات المثالية والجوهرانية الجامدة التي تلقي اللوم كله على العقائد الدينية للبشر، فالمنهجيات الحديثة لعلم الإبستيمولوجيا المعاصرة وللعقل النقدي وهي مناهج لا تقاوم ولاترد وهي المناهج التي طبقت على التراث المسيحي الأوروبي وأدت إلى انطلاقة الشعوب وتحررها."

نقد وتقييم:

يمكن القول أن محمد أركون مارس الفعل الفلسفي الحقيقي في أبعاده المختلفة، فلقد طرح الكثير من الأسئلة المحرجة التي لا تزال تصنع الحدث المعرفي في العالم العربي والإسلامي باستمرار، إذ استنهض الكثير من المفكرين ليردوا عليه بالتأييد أو بالنفي أو بالمراجعة أو التأويل كما أن السؤال الفلسفي الاركوني كان محرجا مستفزا وصادما، فالفعل الفلسفي الحقيقي لا يهب إجابات ولا يمنح تصورات جاهزة بل يخرج السؤال الفلسفي من عقل الفيلسوف ليصدم القارئ، يثير الاستفزاز عند الوثوقيين ليراجعوا مقولاتهم أو يدفعهم إلى التفكير بجد معه حتى وإن كانوا لا يتبنون مقولاته، فما يمكن أن نتعلمه من أركون هو هذه الجرأة المعرفية التي يتبناها ويفتخر بها يقول: "إني أحرص على الالتزام بمبادئ المعرفة العلمية واحترام حقوقها مهما يكن الثمن الإيديولوجي والسيكولوجي والاجتماعي الذي ينبغي دفعه للقيام بذلك باهظا."

ومع ذلك بقي المشروع الاركوني حبيس المنهجيات الغربية والتي وقع في أسرها لم يستطع أن يمارس نقدا في داخل العقل الإسلامي من خلال آليات العقل الإسلامي نفسه أو من خلال ابتكار أدوات معرفية وعقلية تكون موضوعية وليست نتاج المسار الحداثي الأوروبي، يعني وبعبارة أدق إن المنهجيات التي طبقها أركون على العقل الإسلامي هي مستوردة وبهذا المعنى سيبقى نقله كما يرى الكثير مفصول عن النقد الذي يكون من خلال العقل الإسلامي نفسه، وأخيرا إن نقد بعض الحقائق المطلقة وبعض المسلمات والبديهيات يحيي الإنسان في ريبة وشك وتيه وجودي، ففي أثناء المحن والأزمات لا يحتمي الإنسان إلا بالمسلمات الإعتقادية التي يؤمن بها وهي التي توازن وجوده الوجداني ليعيش مطمئنا في عالم سريع ومتحول ومتغير كثيرا لأزمات فإذا ما تم التشكيك في اليقينيات فهذا معناه أن يفقد الإنسان ثقته في الحياة، وختاما ليس بالضرورة أن ما عرفته المسيحية في ظهورها وتكونها هو ما عرفه الإسلام، فالإسلام شيء والمسيحية شيء آخر.

المحاضرة السادسة:

الفكر الواقعي الخلدوني عند عبد الله شريط

تمهيد:

يعتبر عبد الله شريط من أعلام الفكر الجزائري ولد بأم البواقي في 1921-2010 يعد من أهم من مارسوا التفكير الفلسفي في الجزائر وفي العالم العربي وقد تخصص في الشعر وفي الأدب وفي الفلسفة، والصحافة والتاريخ وله عدة مؤلفات من بينها معركة مفاهيم، نصوص ابن خلدون...

١ -الفلسفة الواقعية و الأخلاقية عند عبد الله شريط:

يرى عبد الله شريط أن الفلسفة الحقيقية هي التي تهتم بدراسة الواقع وتفهمه، لا أن تقوم على استلهام أفكار من هنا وهناك، فمن شروط الفلسفة الحقة هي التي تتكلم عن الواقع وتحلله عن قرب باستخدام ألفاظ ومفردات ومفاهيم بسيطة، ففي كتابه معركة المفاهيم يرى أن المجتمع الجزائري يعيش خلطا في المفاهيم الأمر الذي أدى إلى صراعات وهمية ومزيفة،وفي اعتقاده علينا أن نتجنب أخطاء فلاسفة الإسلام عندما لم يتوجهوا في دراسة واقعهم ومجتمعهم يقول:" إننا نكرر الخطأ الذي وقع فيه الفارابي وأبن سينا في تقليدهم للباحثين اليونانيين حتى غفلوا عن مجتمعاتهم التي لا علاقة لها بمشاكل المجتمع اليوناني."، وهذا ما جعل عبد الله شريط يدخل مباشرة في دراسة الواقع الجزائري وما يطرحه من مشكلات حقيقية ، يقول في كتابه المعنون بالفكر الأخلاقي عند ابن خلدون: " بعد الاستقلال دخلنا في مرحلة أخرى في المستوى الثقافي وفي المستوى الأخلاقي وبصفة عامة علماء الاجتماع يقولون إن كل المجتمعات التي تدخل الحرب تخلف هوة أخلاقية بحيث يجد المجتمع نفسه غريبا عن نفسه، فهو غريب الأخلاق وغريب الأطوار وهذا ما دفعني في يوم من الأيام منذ السنوات الأولى للاستقلال أن أبحث في هذا الموضوع عند ابن خلدون ووضعت فيه رسالة الدكتوراه فالناس كانوا مهتمين بالسياسة عند ابن خلدون، والاجتماع عند ابن خلدون والاقتصاد عند ابن خلدون، ولكن على ضوء ما لاحظته من انقلابنا الأخلاقي فرحت أبحث عند ابن خلدون عن هذه الهوة الأخلاقية التي وقعنا فيها."

ولهذا يؤكد عبد الله شريط أن مهمة الفلسفة تقوم على:

١ -**ضبط المفاهيم :** لأن الحياة لا تقوم إلا على قيمة المفاهيم في حياتنا العلمية والثقافية والسياسية.

٢ -**التفكير ضمن مشكلات الواقع المحلي**: فلا يجب للعقل الفلسفي أن يتفلسف ضمن مفاهيم ليست من داخله.

٣ -**النقد الأخلاقي للواقع الجزائري**: فمشكلة النهضة لا تعود إلى الأفكار أو الدولة بقدر ما تعود إلى عدم وجود الأخلاق، فحتى نستطيع أن نؤسس دولة

حقيقية يجب النظر في حقيقة الأخلاق التي يقوم عليها المسؤول والمواطن معا، يتساءل شريط :" وماذا نفعل لكي تكون لدينا ثقافة الدولة؟ نعتمد أولا على الزمن، تطور الزمن لا بد منه لكن لا بد من مجهود فكري وثقافي وتعلمي وسياسي بالخصوص وأخلاقي لكي تتكون لدينا ثقافة الدولة هذه ، المشكلة التي خرجنا منها هي المشكلة الحقيقية هي التي وضعها سقراط عندما قال: الأخلاق هي التي تقوم عليها الدولة وليس الدولة بمعنى الحاكمين فقط ولكن الحاكمين والمحكومين."

٢ -**دور المفاهيم في النهضة الجزائرية:**

يقول عبد الله شريط في معرض حديثه عن أهمية الأفكار في النهضة بقوله:" إننا لا نستطيع أن نبني بيتا من الحجر إلا إذا سبقه بيت من أفكار ونحن لا نملك شيء عنه في تصوراتنا الذهنية لهذا قيمة المفاهيم في حياتنا العلمية والثقافية والسياسية عموما والمفاهيم في المجتمعات الناشئة كثيرا ما تأخذ طابع المعركة"، ولهذا حسب شريط يجب علينا ألا نتعصب لمفهوم معين بل علينا أن نعرضه في مختلف زواياه، كما أن المفهوم هو بين الثبات والتغير فلا يمكن أن يبقى المفهوم نفسه عند مجتمع معين فيتغير من جيل إلى آخر وهذا لا يعني أن يكون الإنسان بدون مفاهيم ثابتة بل عليه أن يراعي فيها الواقع التاريخي الذي يحياه المجتمع وهذا يبين أن عبد الله شريط يدافع عن أهمية توضيح الأفكار العلمية والثقافية والاقتصادية قبل البدا في البناء.

ويتحدد مشروع عبد الله شريط في :

١ -التفكير في نقل المعرفة الواضحة بالدرجة الأولى قبل نقل المصانع.
٢ -الاهتمام بعملية نقل الأفكار والمبادئ إلى السلوك في العمل اليومي.
٣ -إعادة الاعتبار للإنسان وأبعاده النفسية والاجتماعية والتاريخية.
٤ -استخدام اللغة العربية وتطويرها من أجل أن تكون لغة المجتمع.
٥ -إعادة الاعتبار للتفكير لمواجهة التخلف ووثوقية الأحكام.
٦ -الطرح الموضوعي والمنهجي للمشكلات.
٧ -ضبط المفاهيم بوضوح لحل المشكلات، يقول شريط " علينا إثارة مشاكلنا الثقافية بوضوح... لأن طرحها بوضوح هو الذي يعيننا على أن نعثر على حل صحيح في النهاية."

مصادر للمطالعة:

١ -محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا
٢ -محمد أركون، الإسلام أصالة وممارسة، ترجمة خليل أحمد،
٣ -محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح
٤ -محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، ترجمة هاشم صالح.
٥ -مالك ابن نبي،بين الرشاد والتيه.
٦ -مالك ابن نبي، شروط النهضة.
٧ -مالك ابن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.
٨ -مالك ابن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.
٩ -مالك ابن نبي، وجه العالم الإسلامي الجزء1و 2.
١٠ - مالك ابن نبي القضايا الكبرى.
١١ - الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، جمع وإعداد الدكتور أحمد الرفاعي الشرفي.
١٢ - عبد الله شريط، معركة المفاهيم.
١٣ - عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية.
١٤ - عبد الله شريط، حوار إيديولوجي مع عبد الله العروي.